محاسن العقيدة الإسلامية

أ.د.أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية
جامعة الملك سعود

مصدر هذه المادة :



الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعه وسار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:

ففي ظل العمل لبيان وسائل الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والحث على إزالة الحواجز النفسية والثقافية، التي تكتنف نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين لأسباب كثيرة – خصوصًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتقصير كثير من المسلمين في بيان محاسن دينهم قولًا وسلوكًا – يأتي الحديث عن العقيدة الإسلامية وما اشتملت عليه من المحاسن من أهم ما يجب أن تركز عليه الدراسات والبحوث الإسلامية اليوم، وما ينبغي على المراكز البحثية الإسلامية الاهتمام به وترجمته ونشره على أوسع نطاق، ومن واجب العلماء والدعاة إبراز معاني الإسلام السامية، وحقائقه الواضحة الناصعة، والتي سوف نجلي بعضًا منها فيما يأتي من خلال:

النظر في محاسن العقيدة الإسلامية في الإيمان بالله، وما يجب له من إفراد بالعبادة والتعظيم، ونفي الوسائط بينه وبين خلقه في العبادة، والحب والخوف، إلى غير ذلك مما يمثل نوعًا من العبودية لله سبحانه دون النظرة السلبية التي تتحدث عنها كتب الفلسفة اليونانية، وغيرها

من الفلسفات الوضعية الإلحادية بتصوير علاقة الصراع بين الإله أو الآلهة وبين البشر كنوع وحيد وبغيض من العلاقة!

وفي هذا البحث تظهر محاسن العقيدة الإسلامية في الإيمان بالغيب، وكيف أن مثل ذلك الاعتقاد يربي النفس على المراقبة والحياء، ويرقى بها إلى أفق سام تصل به إلى عالم من الكمال المقدر للبشر أن يبلغوه من خلال التشبه بالكمل من مخلوقات الله كالملائكة، فيما يمكن التشبه بهم من حسن طاعة ودوام خضوع وعبودية لله تعالى، وفي الحذر من أخلاق الشياطين والحذر من كيدهم ووساوسهم.

ويجلي البحث محاسن الإسلام في الإيمان بالرسل والكتب، وأنه يجب الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله وأن الكفر بواحد منهم كفر بالجميع، وإيمانه بجميع ما أنزل الله من كتب سماوية كانت في أصلها هادية للناس ومبينة لهم طريق الرشاد، وختمت بالقرآن الكريم الذي جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه.

كما نرى أيضًا دعوة إلى حسن النية وإخلاصها في كل ما يأتيه المرء من قول أو فعل، والمتابعة للنبي ﷺ.

وفي نظرتها للإنسان وما احتوت عليه هذه النظرة من ارتقاء بالجنس البشري وإعلاء لقيمة الإنسان ينطلق البحث من معنى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ

﴿الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

فيبين حدود حرية الإنسان، واختياراته في الفعل والترك، ومن ثم عدم إجبار أحد من الخلق على اعتناق أي شريعة كانت، ولو كانت هذه العقيدة هي عقيدة الإسلام، فإنها بينة واضحة في دلائلها وبراهينها، يدخلها من شرح الله له صدره، ونور بصيرته، وذلك انطلاقًا من قول الله جل شأنه: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256].

كما يتضح من خلال هذا المبحث مدى الكرامة التي يوليها الشرع الحنيف للإنسان من خلال اعتبار المسؤولية وتحديدها، وأن الإنسان لا يؤاخذ إلا بما جنت يداه، وأنه بتعبير القرآن الكريم: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: 164].

ويوضح الباحث – في إيجاز – مدى عناية أحكام العقيدة الإسلامية بأهل ذمة المسلمين وعهدهم، وحمايتها لحقوقهم وصيانتها لكرامتهم، بله دماءهم وأموالهم وأعراضهم، ومنع التعدي عليهم أو إكراههم على ترك دينهم ومعتقداتهم، لأن من محاسن العقيدة الإسلامية: ﴿لا

﴿إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، كل ذلك بما يحقق لهم التعايش مع المسلمين في بلد واحد تحت غطاء من احترام الحقوق، وأداء الواجبات، والبر والإحسان على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وأخيرًا يعرض الباحث لأهمية العلم في المعتقد الإسلامي، ومكانة العلماء، ويبين جانبًا مما قامت عليه العقيدة الإسلامية من أدلة وبراهين يقينية، وكيف أنها نعت على المقلدين – دون برهان أو دليل – تقليدهم، ودعت في أكثر من موضع إلى إعمال العقل والسير في الأرض تأملًا، وتدبرًا في ملكوت الله؛ بغية الوصول إلى الحق والخير.

سبب اختيار الموضوع:

1- إبراز محاسن الدين الإسلامي، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وآثر الباحث اختيار الجانب العقدي لقلة المصادر التي رصدت هذا الجانب حسب اطلاعي.

2- ببيان محاسن العقيدة الإسلامية تتجلى البساطة والوضوح في العلاقة التي بين الخالق والمخلوق التي يدعو إليها الإسلام؛ حيث لا واسطة بينهما إلا الاتصال المباشر بالذكر والدعاء والعبادة القلبية والعملية وفق ما جاء في وصف الرب تعالى من أنه واحد لا شريك له، ومن أنه قريب يجيب دعوة من دعاه في أي لحظة من ليل أو نهار، وبكونه تعالى غفارًا للذنوب وقابلًا للتوبة من عباده دون وسيط أو شفيع في هذه الدنيا.

3- بيان موقف الإسلام من الإيمان بالأنبياء والرسل جميعًا، وكيف أنه عده ركنًا من أركان الإيمان الإسلامي، ولازمة من لوازم الإيمان بمحمد ﷺ.

4- الدفاع عن الأنبياء جميعًا، من خلال ذكر فضائلهم والثناء عليهم، والدعوة إلى تعظيم شأنهم واحترامهم أشد الاحترام، وإيضاح اتفاقهم جميعًا على غاية دعوتهم وهي توحيد الله تعالى، وبيان زيف وتحريف من اتهمهم من أعدائهم.

5- بيان السيرة التاريخية للإسلام في حسن تعامله مع أهل الملل الأخرى، وأنهم لا يُكرهون على الدخول في الإسلام، ونفي ما يتردد على ألسنة البعض بأن الإسلام انتشر بالسيف، وأن المسلمين أكرهوا أهل البلاد المفتوحة على الدخول في الإسلام.

6- ومن أهداف هذا البحث أيضًا تعميق الحوار مع أهل الديانات الأخرى وخاصة أهل الكتاب منهم، بالحكمة والموعظة الحسنة، باتخاذ بيان المحاسن العقدية للإسلام أسلوبًا خاصًا في الحوار والتواصل الفكري، باعتبارها عقيدة الفطرة التي فُطر عليها الناس جميعًا، قال الله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم: 30].

خطة البحث:

وبعد، فقد جاء هذا البحث في: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

- مقدمة.
- المبحث الأول: محاسن العقيدة في الإيمان بالله تعالى.
- المبحث الثاني: محاسن العقيدة في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره.
- المبحث الثالث: محاسن العقيدة في نظرتها للإنسان.
- المبحث الرابع: محاسن العقيدة في الجانب العلمي.
- خاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.

والله نسأل السداد والتوفيق

المبحث الأول

محاسن العقيدة في الإيمان بالله تعالى

يعد الإيمان بالله تعالى من أجل المهمات، وإفراد الله تعالى بالعبادة قطب رحى الرسالات وأوجب التكليفات الشرعية؛ فهي وظيفة الرسل ومهمة الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

وحيث إن شرف العلم بشرف المعلوم وبأثر ذلك؛ فلا شك أن إفراد الله تعالى له آثاره المرضية؛ إذ يورث الحياة الطيبة، وتطمئن النفس بحسن توكلها على الله وتعلقها به، كما يحصل به الاستخلاف في الأرض والتمكين للدين.

لهذا وغيره جاءت العقيدة الإسلامية بمحاسن ومزايا في هذا الجانب المهم من أصول الإيمان الستة، ومنها:

1- سمة الربانية ووحدة المصدر

إن الربانية تعني: النسبة إلى الرب، فالعقيدة الإسلامية مصدرها واحد هو الله تعالى، هذا المصدر الذي ضمنه في القرآن الذي هو وحيه وكلامه إلى رسول الله ﷺ[1].

---

(1) انظر: المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، د. عبد الله القرني: (27)، (85-175).

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: 6].

وقال عز من قائل: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: 2].

ومما يترتب على معرفتنا بهذا المصدر أن نعلم أنه محفوظ من التحريف أو التبديل أو الزيادة أو النقصان، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

وقد اقتضى هذا حفظه على الهيئة التي نزل بها، لم تلحقه يد تبديل أو تحريف، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: 115].

قال البيضاوي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «لا أحد يبدل شيئًا منها بما هو أصدق وأعدل، أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعًا ذائعًا كما فعل بالتوراة... فيكون ضمانًا لها من الله ﷻ بالحفظ»[1].

فالمنهج المعتبر في تفسير آيات القرآن الكريم – باعتباره المصدر الأول للعقيدة الإسلامية – هو طلب معرفة النص من القرآن نفسه؛ فهو أحسن طريق لمعرفة مراد المتكلم.

---

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي: (328/1).

وعلة هذا المنهج أن هذا المصدر هو وحي الله الذي لم تشبه شائبة نقص أو جهل أو قصور، فنجده يفسر بعضه بعضًا، فليس فيه تناقض ولا اضطراب.

فإن لم يتيسر فهم النص القرآني من النص نفسه، طلبه المفسر من سنة النبي ﷺ.

وعلة هذا أن السنة النبوية هي وحي من عند الله كذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3-4].

إذن فالمصدران الأساسيان الأصليان للعقيدة الإسلامية هما من عند الله، وقد تكفل الله بحفظ كتابه من التحريف والتغيير بزيادة أو نقصان. وليس كما حدث للعقائد والديانات الأخرى التي ظهر فيها من التناقض والاضطراب؛ مما جعل كثيرًا من أتباعها يعزفون عن تعاليمها، بل ويكفرون بها، وذلك راجع لفساد مصادرها الناتج عن التحريف والتبديل اللذين لحقا بها على يد البشر من أتباعها أو من غيرهم[1].

(1) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية: (386 وما بعدها)، ومقارنة الأديان للدكتور أحمد شلبي: (222/4 وما بعدها).

أما العقيدة الإسلامية فظلت وستظل نقية خالصة كما جاء بها القرآن وصحيح السنة؛ ولهذا كانت عقيدة سهلة يقبلها العقل السوي والفطرة النقية.

ومن محاسن هذا المحور ما يأتي:

- كمال العقيدة وخلوها من النقائص.
- العصمة من التناقض والاضطراب.
- السهولة واليسر والبعد عن التعقيد.
- تحقيق مصالح العباد النفسية والروحية، ودرء المفاسد عنهم في أهم جوانب حياتهم[1].

2- العقيدة الإسلامية منهج توقيفي

العقيدة الإسلامية منهج توقيفي يقوم على نصوص الوحي، ولا يعتمد على الرأي أو القياس أو الذوق..إلخ[2]؛ لأن هذه الأخيرة تتغير من شخص إلى آخر، فلا تنضبط معها عقيدة ولا منهج، قال الله تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ

(1) بحوث في الثقافة الإسلامية، مجموعة مؤلفين: (380).

(2) انظر: مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، د. عبد الرحمن الزنيدي: (289-374).

لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: 48].

3- وضوح وبساطة العقيدة الإسلامية في بيان وحدانية الله تعالى وتقرير ربوبيته وألوهيته

جاءت العقيدة الإسلامية واضحة لا لبس فيها ولا غموض ولا خفاء ولا التواء، ففي وضوح لا خفاء معه صرحت آيات القرآن الكريم بوحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: 1-4].

كما أقامت الدليل الواضح على إفراده بالألوهية، وجاء على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: 22].

«فالله هو الإله الواحد المتفرد بالألوهية، لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد؛ لأن أي إضافة له سبحانه من شريك أو زوج أو ولد لا يكون

إلا لدفع ضرر، أو جلب خير، أو سد نقص، وهذا مما يناقض الكمال المطلق الذي ينبغي أن يكون لمالك الملك كله»[1].

وقررت العقيدة الإسلامية ربوبية الله تعالى لخلقه، وبينت مظاهره هذه الربوبية، ودعت إلى التفكر في هذه المظاهر، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: 31].

وبعد أن أثبتت هذه الآيات الوحدانية والربوبية لله تعالى، دعت إلى إفراده ﷻ بالعبادة والتأله؛ ذلك بأنه هو المستحق للطاعة والخضوع والانقياد، وما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب إلا لأجل هذا الغرض، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: 36].

ويقتضي تفرده في الألوهية التامة الكاملة التفرد في جميع صفاته وأسمائه، فكما أنه لا شريك له في ذاته في استحقاقه للألوهية وحده دون شريك، فكذلك لا شريك له في أسمائه وصفاته.

ومما يزيد محاسن اعتقاداتنا في الله وإيماننا بأسمائه وصفاته وضوحًا: أن نعلم مدى التأثير الذي يحدثه مثل ذلك الإيمان في النفس الإنسانية،

---

(1) الإسلام في مواجهة الماديين والملحدين، بقلم عبد الكريم الخطيب: (29).

ومن ثم لا نعجب حين نرى – مثلًا – الفيلسوف الأمريكي (وليم جيمس) يقول: «إن لإضافة العلم الكامل لله أثرًا في سلوكي؛ لأنها تجعلني أعتقد أنه يمكنه رؤية أفعالي في الظلام!»[1].

ولعل نظرة في كتب كثير من الديانات حتى الكتابية منها، تتجلى لنا بها محاسن العقيدة الإسلامية في هذا الصدد، حيث نرى مدى التعقيد والغموض الذي يكتنف معنى الوحدانية في تلك الديانات بعد أن حُرفت، كما نجد مدى التعدد الذي وصل إليه الهنود حيال الإله؛ فـ«كل قوة طبيعية تنفعهم أو تضرهم يعدونها إلهًا، ويستنصرون به في الشدائد، كالماء والنار والأنهار والجبال وغيرها»[2].

ثم ساق المؤلف جملةً من اعتقاداتهم في التوحيد مستخرجًا إياها من كتبهم التي يدعون أنها التوراة التي أنزلها الله على موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام –[3].

وعند النصارى نرى الوحدانية هي إله واحد الأب والابن والروح القدس، ثم يقسمون الوظائف والأعمال والتدابير الكونية بين هؤلاء الثلاثة، ويزعمون مع ذلك أن هذه هي الوحدانية، بينما هي في الواقع جمع بين الضدين، فالوحدانية تنفي الشريك، والشريك ينفي الوحدانية، فلا يمكن أن يجتمعا كالسواد والبياض، ثم تتداخل الأقانيم

(1) المرجع السابق (ص: 36).

(2) في التقديم لأناشيد الريح ويدا، محمود علي خان: (77).

(3) انظر: المرجع السابق نفس الصفحة وما بعدها.

وتختلط الوظائف فلا نعرف ماهية الإله عندهم تحديدًا، ولا هم يعرفون[1]!

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: 30].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 73].

وقد شهد بهذه العقيدة – عقيدة التوحيد لدى المسلمين – الفيلسوف البريطاني (برتراند راسل) قائلًا: «كانت ديانة النبي محمد توحيدًا بسيطًا، ليس فيه التعقيد الذي نراه في عقيدة الثالوث والتجسيد، ولم يزعم النبي لنفسه أنه إلهي، ولا زعم له أتباعه هذه الطبيعة الإلهية نيابة عنه، وجعل واجبًا على المسلمين أن يفتحوا من العالم ما وسعهم فتحه في سبيل الإسلام، على ألا يسمح لهم خلال ذلك باضطهاد المسيحيين أو اليهود»[2].

---

(1) انظر: الملل والنحل للشهرستاني، تخريج: محمد بن فتح الله بدران، القسم الأول: (ص: 201)، وكذا: هداية الحيارى لابن القيم، (ص: 346 وما بعدها).

(2) تاريخ الفلسفة الغربية، الطبعة العربية، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود: (186/2).

4- العمل بإخلاص يعتبر في عقيدة الإسلام عبادة لله

إن من أهم ما تميزت به العقيدة الإسلامية أنها جعلت كل حركة للإنسان أو سكون – إذا صح منه وكان ذلك مشروعًا وأريد به وجه الله تعالى – داخلًا في معنى العبادة، ولذا جاء قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162][1].

وما دامت هذه الحياة بما فيها من أقوال وأفعال فيجب الإحسان في أدائها، والإحسان هنا لا يأتي من مؤثر خارجي، بل الدافع له هو العقيدة التي يؤمن بها، وتدعوه إلى ذلك، فيحرس كل مسلم عمله، ويحافظ عليه كعبادة يؤديها، لا يبتغي بذلك رياءً ولا سمعة، بل يرجو الأجر من الله، ويظل على ذلك رجاء قبول عمله.

وإذا كان هذا شأن جميع الأعمال، فهي في مجال العبادات والشعائر آكد، فلا يجوز صرف صلاة أو نسك أو دعاء أو استغاثة لغير الله؛ لا لنبي مرسل، ولا لملك مقرب، ولا لولي صالح، ولا لمعظم في عشيرة أو جماعة، فضلًا عن عامة البشر والقبور والأشجار والأحجار...إلخ.

وقد حذرت أحكام العقيدة الإسلامية من صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله أيما تحذير، وعدت ذلك من الشرك الذي لا يغفره

---

(1) الأمنية في إدراك النية، للقرافي.

الله إن مات صاحبه عليه، ولتمام ذلك جعلت العقيدة الصلة بين العبد وربه –كما قدمت سابقًا – صلة مباشرة، لا تحتمل وسيطًا من بشر أو ملك أو غيرهما، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: 186].

5– دعوة العقيدة لتعظيم الله تعالى وإجلاله من خلال النظر في الآيات الكونية والتأمل في بديع صنعها

حيث عرضت العقيدة مظاهر هذه العظمة من خلال الدعوة إلى النظر في كتاب الله المفتوح، وهو الكون الفسيح، فحين يرى المؤمن ما حوله من المخلوقات والكائنات، وما يبدو فيها من عظمة الخالق وقدرته التي ليست لها حدود، يمتلئ قلبه بتعظيم الله وإجلاله[1].

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: 19-21].

(1) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة: (100-155).

ففي هذه الآيات أمر الله تعالى عباده بالنظر العلمي المتتبع لمعرفة كيف بدأ الخلق؟ فيستدلوا من بدء الخلق على حاجته إلى خالق عظيم أحدثه بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا، وأن هذا الخالق هو القادر على إعادته وإنشائه النشأة الآخرة بعد الموت والفناء[1].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: 6-11].

ففي هذا النص دعوة إلى النظر في أجزاء تفصيلية من الكون لاكتشاف آيات الله فيه الدالات على عظم الخالق، من حيث القدرة والتدبير والحكمة التي تحكم هذا الكون، فلا يضطرب ولا يختل توازنه، كما أخبر بذلك الرب جلت قدرته: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ

(1) وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري: (20/20)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (299/13).

وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: 41][1].

وقال عز من قائل: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم: 19].

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي تدل على عظمة الله سبحانه في الخلق والرزق والتقدير، وبما تدل على آثار قدرة عظيمة، وعلم محيط، وحكمة بالغة، ورحمة واسعة... إلى غير ذلك من صفات الكمال التي هي صفات الخالق القادر المدبر الحكيم العليم الخبير.

6- دعوة العقيدة الإسلامية لمحبة الله والشوق إليه مع الخوف منه والرهبة

محبة الله في عقيدة الإسلام تعد من الإيمان بالله تعالى، بل لا يصح إيمان إنسان إلا بوجودها وكذلك الخوف منه.

ونصوص القرآن والسنة بما فيها من تذكير بنعم الله، وإفضاله على الإنسان، مما يقوي باعث المحبة والشوق لله تعالى، كما أن آيات الوعيد توجب على الإنسان الخوف والاستعداد ليوم الجزاء.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز: «أما المتدين فخضوعه شعوري اختياري معًا، وهو حين يخشع لمعبوده ويسجد لعظمته يفعل ذلك

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (396/7).

عن طواعية لا عن كراهية، لأنه يقوم في ذلك بحركة نفسية من التمجيد والتقديس تأبى طبيعتها أن تؤخذ قهرًا، وإنما تعطى وتمنح لمن يستحقها متى اقتنعت النفس بهذا الاستحقاق، نعم إن هناك نوعًا من الإكراه (وهو الإكراه غير المباشر كالتهديد بالعقاب) يمكن أن يفضي إلى مظهر من مظاهر التعظيم، وصورة من صوره المادية، ولكنه لا يمكن أن يتولد عنه حقيقة التعظيم ولا صورته القلبية»[1].

وكان مما وصف الله به عباده المصطفين أن قال جل جلاله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: 54].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ففي قلوب بني آدم محبة لما يتألهونه ويعبدونه، وذلك قوام قلوبهم، وصلاح نفوسهم، كما أن فيهم محبةً لما يطعمونه، وينكحونه، وبذلك تصلح حياتهم، ويدوم شملهم»[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «أصل التوحيد وروحه: إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التأله، والتعبد، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق جميع المحاب، وتغلبها،

(1) الدين. بحوث ممهدة لتاريخ دراسة الأديان، د. محمد عبد الله دراز: (50).
(2) جامع الرسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم: (230/2).

ويكون لها الحكم عليها؛ بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه»[1].

فليس هو الإله المتسلط، الجبار، المنتقم من خلقه، كما تصوره كتب العهد القديم، أو الأساطير الإغريقية، أو هو العاشق لسفك الدماء، بل هو الودود، الرحيم، البر، الكريم جل جلاله.

وتتضح محاسن هذه العقيدة في هذا الجانب، في إيثارها الوسطية والتوازن بين الحب والخوف، فالله تعالى كما يُحب، يُخاف من بطشه، وكما تُرجى رحمته، لا يُؤمن مكره؛ مما يكون دافعًا للمؤمن إلى العمل وعدم اليأس والقنوط وقاطعًا للأماني والغرور.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 165].

هذا وقد رُدت مذاهب كثيرة قامت على تفسير ظاهرة التدين في الجنس البشري، بسبب اعتمادها على الخوف والرهبة من الطبيعة، وما يُرى من تقلباتها؛ لأن الخوف وحده لا يثمر إيمانًا حقيقيًا، بل لا بد معه من رجاء وحب[2]، وهذا ما قامت عليه عقيدة الإسلام.

---

(1) القول السديد، للشيخ عبد الرحمن السعدي: (110).

(2) انظر: الدين، د. محمد عبد الله دراز: (47).

7- دعوة العقيدة للتوكل على الله تعالى والاعتماد عليه والتعلق به

والتوكل: «هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ، في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها»[1].

وهذا بلا شك ناتج عن معرفة العبد بربه، وإيمانه بقدرته العظيمة الشاملة، وعلمه الذي أحاط بكل شيء، وأنه سبحانه يدافع عن الذين آمنوا، وكذلك اليقين بأن الله تعالى إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، لا يمنعه من ذلك مانع، حين يعلم العبد ذلك ينصرف اعتماده وتوكله على الله وحده، بحيث لا يتوكل على غيره أبدًا، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: 30].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 2-3].

فثمرة التوكل العاجلة هي الإقدام على العمل في حزم، وإتيان الأسباب في غير توان، ووضع المقدمات في غير حيرة ولا تردد، مع

(1) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي: (409).

طمأنينة القلب، وهدوء البال، واستراحة الضمير، فلا قلق للمتوكل على الله، ولا مخاوف تنتابه في الحياة[1].

كما دعت العقيدة الإسلامية إلى نبذ التواكل والضعف والاستكانة، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: 146].

ومن توكل على غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالتوكل على الموتى والغائبين ونحوهم في دفع المضار، وتحصيل المنافع والأرزاق والأولاد – فقد أشرك بالله الشرك الأكبر كما قال سبحانه: ﴿ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: 23].

كما أن مما يعد من محاسن العقيدة أنها دعت المؤمن إلى الافتقار إلى الله، واللجوء إليه والدعاء؛ كي ينال التوفيق والهداية، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

(1) انظر: التوكل على الله، د. عبد الله الدميجي: (105-146).

دَعَـانِ فَلْيَسْـتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُـواْ بِي لَعَلَّهُـمْ يَرْشُـدُونَ ﴾ [البقـرة: 186].

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدعاء هو العبادة**»[1]. ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾.

8- الواسطة بين الإنسان وخالقه سبحانه

مما امتازت به العقيدة الإسلامية أنها جعلت الباب مفتوحًا دائمًا بين العبـد وربـه ﷻ، دون وسـيطٍ أو حاجـبٍ مـن ملـك أو رسـول أو ولي...إلخ[2].

بل جعلت اتخاذ الوسطاء في العبادة نوعًا من الإشراك بالله، ولذا نعى الله تعالى على المشركين عبادتهم للأصنام التي زعموا أنها تقربهم إليه، قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: 3].

كما وضح سبحانه أن أحدًا لا يملك الشفاعة لأحدٍ إلا بإذن من الله تعالى، بل إن هؤلاء المدعوين والوسائط أنفسهم يريدون الوسيلة التي

---

(1) رواه أبو داود (1479)، والترمذي (3612)، وقال حديث حسن صحيح.

(2) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (786/2)، ومدارج السالكين لابن القيم (144/1)، وتجريد التوحيد المفيد للمقريزي (7).

تقربهم إلى الله، وترضيه عنهم، قال عز من قائل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: 57].

فقد فتح الله كل طريق يلج منه العبد إليه كي يناجيه ويستغفره في أي وقت شاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

فليس في الإسلام رجال كهنوت أو قساوسة يتوسطون للناس عند ربهم، أو يعترف المذنبون بين أيديهم بما اكتسبوا من خطايا؛ ليغفروها لهم[1].

(1) انظر: النصرانية والإسلام: محمد عزت الطهطاوي: (182)، وانظر أيضًا: محاضرات في النصرانية، د. أحمد شلبي: (206).

9- لا يعلم الغيب إلا الله تعالى

أكدت العقيدة الإسلامية على أهمية الإيمان بالغيب، وأكدت في الوقت نفسه على أن الإيمان بأن الله وحده هو الذي يحيط بعلم الغيب يعد من ركائز الإيمان العظيمة، أما البشر فليسوا مهيئين بتكوينهم هذا للاطلاع على شيء من الغيب، وليس البشر وحدهم، بل الجن، والملائكة، كل أولئك لا قبل لهم بعلم الغيب، وأدلة القرآن في هذا كثيرة وواضحة[1].

قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: 65].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: 14].

وعليه فقد سد هذا الركن الباب في وجه من يدعي علم الغيب، من العرافين والكهنة وغيرهم، وكان موقف الإسلام منهم حاسمًا حازمًا، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى

(1) انظر: علم الغيب، د. أحمد الغنيمان: (233-249).

﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: 221-223]، بل جاء التحذير والوعيد لمن صدقهم فيما يزعمون، أو ذهب إليهم، قال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»(1).

وقال ﷺ أيضًا: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(2).

ولا شك أن هذا المعتقد يحقق للمسلم حفظ عقله من اتباع الأوهام والخرافات، وأيضًا يحفظ عليه أمواله التي ينفقها لهؤلاء(3).

كما وجهت الشريعة الغراء أولي الأمر من هذه الأمة، للتصدي لهؤلاء، وإقامة الحدود والتعزيرات عليهم.

قال شارح العقيدة الطحاوية: «الواجب على ولي الأمر وكل قادر، أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والقالات، ومنعم من الجلوس في الحوانيت والطرقات، أو أن يدخلوا على الناس في منازلهم»(4).

---

(1) رواه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان: (2230).

(2) رواه أحمد (429/2)، والبيهقي (135/8)، وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: هذا إسناد صحيح على شرط البخاري.

(3) انظر: الإيمان بالغيب، بسام سلامة: (13-38).

(4) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، تخريج الألباني وتحقيق جماعة من العلماء: (568).

هـذا وقـد وجهـت العقيـدة المسـلم إلى التفـاؤل، واسـتحبت لـه ذلـك، وكـذلك أرشـدته إلى الاستخارة والاستشـارة من أولي النهـى والتجربـة، وجعلت كفارة التطير أو التشاؤم أن يقول المرء هـذا الدعاء: «اللهـم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك»[1].

* * *

(1) رواه أحمد (230/2).

المبحث الثاني

محاسن العقيدة في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر

10- الملائكة الكرام ومكانتهم ووظائفهم في عقيدة الإسلام

يعد الإيمان بالملائكة الركن الثاني من أركان الإيمان الستة التي هي أصول الإيمان عند المسلمين.

والملائكة هم خلق من خلق الله، خلقوا من النور، وجعلهم الله طائعين متذللين له، ولبعضهم وظائف خصه الله بها.

وقد أجمل ابن القيم بعض أعمالهم فقال: «منهم أولياء الإنسان وأنصاره، وحفظته ومعلموه، وناصحوه والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دينه ودنياه وآخرته...إلخ»[1].

ومن محاسن العقيدة الإسلامية توضيح مكانة ووظيفة الملائكة الكرام ليزداد المسلم تعظيمًا ومحبة لهم، وحياءً منهم، وإكرامًا لهم، ونفت

(1) إغاثة اللهفان، لابن القيم: (125/2).

عنهم ما نُسب إليهم من المشركين حيث قالوا: إنهم بنات الله. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا! وحثت المؤمن على احترامهم وحبهم وإكرامهم، وعدم التعرض لهم بالأذى، وعدم الاعتداء بالقول وغيره.

كما بينت العقيدة الإسلامية مقام الملائكة وعباداتهم، فهم لا يستكبرون عن عبادة الله ويسبحونه وله يسجدون.

«ولفظ (الملك) يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: 27]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: 255]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 28]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 50] فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [الأنبياء: 19-20]»[1].

(1) شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الحنفي: (274، 275).

ونعى القرآن على اليهود بغضهم لجبريل عليه السلام، وهو من الملائكة الكرام، حيث قال اليهود: إنه عدو لنا. فرد الله عليهم قولهم: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 98].

11- الأنبياء والرسل في العقيدة الإسلامية

من محاسن العقيدة الإسلامية توضيح حقيقة الأنبياء والرسل، ومكانتهم، ووظيفتهم، كما بينت واجبنا نحوهم كالإيمان بهم جميعًا، وتعظيمهم، واحترامهم، والقيام بجميع حقوقهم علينا – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين –.

يقول ابن القيم: «فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم... إلخ»[1].

كما بينت مكانتهم وخيريتهم على البشر؛ بما يدفع إلى توقيرهم، واتباع هديهم، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا

(1) زاد المعاد لابن القيم: (15/1).

بِكَافِرِينَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 89-90].

ومن أهم محاسن العقيدة الإسلامية الإيمان بجميع الأنبياء والرسل دون تفرقة بين أحد منهم بهوى أو رأي، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285].

فالمسلم يحب موسى وعيسى – عليهما السلام – كما يحب محمدًا ﷺ، ويجلهما ويكبرهما كإجلاله محمدًا وإكباره إياه، واليهودي الذي دخل النصرانية لما جاء بها المسيح عليه السلام لم يخسر موسى عليه السلام ولكنه ربح معه عيسى عليه السلام، والنصراني الذي يدخل اليوم في الإسلام لا يخسر عيسى وموسى ولكنه يربح معهما محمدًا ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد»[1]، فالدين واحد وإن تفرقت الشرعة والمنهاج، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا

(1) أخرجه البخاري بنحوه (3443)، ومسلم (2365).

﴿نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: 45]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36]»[1].

والدفاع عن موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام في العقيدة الإسلامية مثل الدفاع عن رسولنا ﷺ، كما أوضحت العقيدة أن وظيفة الأنبياء هي تبليغ الرسالات، والدعوة إلى الله تعالى، والتبشير والإنذار، وإصلاح النفوس وتزكيتها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].

وليس من وظيفتهم تخليص البشرية من الخطيئة، ولا ورد مثله عن نبي من الأنبياء.

(1) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق أنور الباز، وعامر الجزار: (522/11).

12- دعوة العقيدة إلى الإيمان بالكتب السماوية جميعًا

من أسس الإيمان في الإسلام أن يؤمن المسلم ويصدق تصديقًا جازمًا بما أوحى الله تعالى من كلامه إلى من اصطفى من رسله.

فينبغي الإيمان بكل ما أنزل الله من كتب سماوية على وجه الإجمال، كما جاء في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: 213].

وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25].

وقد جاء في القرآن الكريم بيان شافٍ لكثير من الكتب والصحف التي أنزلها الله على رسله – عليهم الصلاة والسلام –، منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى – عليهما السلام –.

وقد ورد في آيات أخرى بعض ما جاء في هذه الكتب السماوية من أحكام وأخبار مثل قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ

وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: 45].

وقد وردت إشارات أيضًا تتحدث عن بعض ما جاء في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ [الأعلى: 16-19].

وبعد، فهذه الكتب التي ذكرت في القرآن بأسمائها وصفاتها، يؤمن بها المؤمن كما ذكرت مفصلة بلا زيادة ولا نقصان، ولا يجوز أن يؤمن ببعضها ويكفر ببعض تعصبًا أو تكبرًا، قال جل شأنه: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: 285].

وقد جاء القرآن الكريم مهيمنًا على هذه الكتب، ورقيبًا عليها وحفيظًا عليها ومعترفًا بصدقها ومقررًا لها، فقد حفظه الله من التحريف والتبديل والزيادة والنقص لفظًا ومعنى.

وجاءت آياته موافقة للكتب السابقة في كثير من الغايات والمقاصد والأصول التي لا تختلف باختلاف الشرائع والرسالات، فنجد فيه:

1- الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر.

2- فيه توافق مع الكتب السابقة في أصول الشرائع كالصلاة والصيام والزكاة.

3- يتفق مع الكتب السابقة في الدعوة إلى الفضائل، والترغيب فيها، والترهيب من الرذائل والتنفير منها[1].

13- تفصيل العقيدة لأحوال الآخرة

لم تحظ الدار الآخرة – دار الجزاء – بتفصيل وإيضاح لمراحلها، ونوع الحياة فيها وطبيعتها، مثلما حظيت به في العقيدة الإسلامية، فالآيات القرآنية في هذا الصدد أكثر من أن تحصى، علاوة على ذلك فإن ذكر نعيم الآخرة يبعث على قلة الركون إلى الدنيا، فيجعلها مزرعة للآخرة، يؤدي فيها المرء حق الله تعالى خضوعًا وعبادةً، ويدعوه كذلك إلى التهاون بأحزانها ومصائبها، والصبر عليها، وعلى مضض الشهوات؛ احتسابًا وثقةً بما عند الله من حسن الجزاء والثواب، كما أنه يدعو للتأهب والاستعداد للحساب، ويدعو أيضًا لاجتناب الظلم بكل صوره، ويزيد من شوق المرء إلى الجنة وما فيها.

أ- حتمية البعث بعد الموت: قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: 7].

---

(1) انظر: عظمة القرآن، للدوسري: (121).

ب- الجمع بين الأولين والآخرين: قال تعالى: ﴿هَـذَا يَـوْمُ الْفَصْـلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: 38].

جـ- صنوف النعيم لأهل الجنة: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًـا إِلَّا وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْـحَابُ الْجَنَّـةِ هُـمْ فِيهَـا خَالِـدُونَ * وَنَزَعْنَا مَـا فِي صُـدُورِهِم مِّنْ غِـلٍّ تَجْرِي مِـن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَـدَانَا اللّهُ لَقَـدْ جَـاءتْ رُسُـلُ رَبِّنَـا بِالْحَـقِّ وَنُـودُواْ أَن تِلْكُـمُ الْجَنَّـةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 42-43]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّـةِ الَّتِي وُعِـدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَـا أَنْهَـارٌ مِّـن مَّـاء غَـيْرِ آسِـنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـارِبِينَ وَأَنْهَـارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَـا مِن كُـلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: 15].

وعلى النقيض لم تذكر الدار الآخرة في الكتب السابقة التي حُرفت إلا قليلًا[1].

(1) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعيد ابن عبد العزيز الخلف: (85).

ولأن الإنسان متعلق بما هو دائم وخالد والعقيدة متوافقة مع فطرته، نجدها تفصل له ما يتمنى حصوله له في الآخرة من خلود ونعيم...إلخ، بعدما أعلمته بحقيقة الدنيا وأنها زائلة وفانية[1].

14- القضاء والقدر في المعتقد الإسلامي

أولت العقيدة الإسلامية قضية القضاء والقدر اهتمامًا بالغًا بما يضمن للإنسان عزته وكرامته، ويرفعه عن الاستكانة والخضوع والإحباط.

فقد عُد الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من أصول الإيمان الستة، وجاءت الأدلة على الإيمان بالقدر من القرآن والسنة مفصلة ومبينة لحقيقة القضاء والقدر[2]:

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49].

وقال عز من قائل: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: 23].

ومن السنة النبوية قول رسول الله ﷺ: «وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»[3].

على أن بيان العقيدة الإسلامية لمسألة القضاء والقدر يوافق مقتضى الفطرة الإنسانية التي رأت منذ عصر الجاهلية وما قبله أن شيئًا في

---

(1) انظر: الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار د. غالب عواجي، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم.

(2) القضاء والقدر، د. عبد الرحمن المحمود: (45-54).

(3) رواه مسلم (2664).

الكون لا يقع إلا بمراد الله تعالى، ومن ثم احتج المشركون على شركهم بالقدر (خطأً)، فقالوا: ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النحل: 35].

ويوافق العقل السليم الذي يدل صاحبه على أن الله تعالى هو خالق الكون، ومدبره، ولا يمكن أن يكون الكون على هذا النظام البديع من التآلف والتناسق إلا بتدبير مدبر ﷻ، فإذا تقرر هذا لدى العاقل علم أن ليس من الممكن أن يقع في ملك الله إلا ما يريده، وما يقدره، يدلنا على هذا قوله جل شأنه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: 12].

ولذا جاء عن ابن عباس ﷺ قال: «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده»[1].

ومتى صح فهم المسلم لعقيدة القضاء اطمأن قلبه لكل ما يجري في الكون مما لا كسب له فيه، ورضي بمراد الله مهما كان ذلك الأمر محزنًا أو سارًا.

وفيما يأتي نذكر بعضًا من محاسن العقيدة في هذا الجانب:

---

(1) انظر: الإبانة لابن بطة، تحقيق: د. عثمان الأثيوبي: (159/2).

الصبر والثبات عند الشدائد والملمات:

فإنه متى آمن المسلم بأن كل شيء بقدر الله، وأنه لن تصيبه مصيبة إلا بإذن الله ومشيئته ولحكمة أرادها، حين يعلم ذلك يثبت قلبه ولا يجزع ولا يضطرب، وهذه من أعظم المحاسن، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22].

يقول الكاتب المعروف (ر. ف. س. بودلي) في مقالة بعنوان (عشت في جنة الله): «وقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلب على القلق؛ فهم بوصفهم مسلمين يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد ساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأخذ لحياة مأخذًا سهلًا هينًا، فهم لا يتعجلون أمرًا، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهم قلقًا على أمر، إنهم يؤمنون بأن «ما قدر يكون»، وأن الفرد منهم «لن يصيبه إلا ما كتب الله له»، وليس معنى هذا أنهم يتواكلون، أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي، كلا... لقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير»[1].

(1) دع القلق وابدأ الحياة لديل كارنيجي: (291، 295).

القوة والثبات في الحق:

فالذي يؤمن بالقدر، يؤمن أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعت على أن تضره بشيء لن تضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه.

وكما جاء في قول النبي ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز**»[1].

كذلك يؤمن بأن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، هذه العقيدة تنزع من قلوب معتنقيها الخوف والجبن والخور والتثاقل، بل تسكب في نفوسهم السكينة، وتغرس فيهم الشجاعة، وبذا يتحرر المرء من العبودية الهابطة للعباد، ويرقى للعبودية السامية لله ﷻ.

القضاء على الحسد:

فإن من ضرورات الإيمان بالقدر أن يعلم المسلم أن الأرزاق مقدرة كما الآجال، وأنه مهما سعى في طلب الرزق – وهو بلا شك مطالب بذلك – فإنه لن ينال إلا ما كُتب له، عندئذ ينقطع تطلعه لما في أيدي الآخرين متذكرًا قوله تعالى: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ**

(1) رواه مسلم: (2664).

دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: 32].

التخلص من العجب والغرور:

فطالما أن كل شيء مقدر للإنسان، وأنه قد يبذل الأسباب كلها ولا يتحقق له مراده، فإن ذلك يدعوه إلى عدم الاعتداد بالنفس والعجب والغرور والتعالي[1].

15- الشيطان في ميزان الشريعة الإسلامية

لقد بينت العقيدة قدر الشيطان، وأظهرت حقيقة قدرته التي هولتها كتب النصارى المحرفة؛ حيث زعمت أن الشيطان له قدرة هائلة، وقوة كبيرة يستطيع التسلط بها حتى على المؤمنين، كما يعتقدون أنه سبب لكثير من الأمراض بل سبب للموت[2].

بينما صححت عقيدتنا هذا المفهوم، وذكرت أن عداوة الشيطان للإنسان قديمة ومستدامة، ولن يتمكن أن يلتقيا على خير أبدًا، لكنها كشفت النقاب عن حدود الشيطان وقدراته؛ فالشيطان ليس يملك من الإنسان إلا الوسوسة فحسب، وليس له فوق ذلك قيد أنملة من

(1) انظر: العقيدة الإسلامية الميسرة: (135).

(2) انظر: الملائكة والجن، دراسة مقارنة في الديانات السماوية الثلاث (اليهودية – النصرانية – الإسلام)، إعداد: مي بنت حسن محمد المدهون: (272).

التسلط أو التمكن من الإنسان ما دام مؤمنًا، وإنما هي مجرد وسوسة؛ لأنه لا سلطان له إلا على أوليائه من الإنس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 99].

فكيده ضعيف مهما بلغ: ﴿فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76].

وعليه فقد أرشدت الآيات إلى سبل الوقاية منه، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200].

وقد صورت لنا آيات القرآن مشهد المحاجة بين الشيطان والإنسان يوم القيامة، حين يُرجع الكافر سبب خسارته إلى كيد الشيطان، فيتبرأ حينذاك الشيطان منه ومن غوايته، ويعلن أنه إنما وسوس له ليس إلا.

* * *

المبحث الثالث

محاسن العقيدة في نظرتها للإنسان

16- مكانة الإنسان في العقيدة الإسلامية

من محاسن العقيدة الإسلامية أنها أوضحت لنا مكانة الإنسان بين المخلوقات، وأصل خلقه وتكوينه، فقطعت المجال على الملاحدة وغيرهم ممن يتحدثون في خلق الإنسان وأصل تكوينه مثل (دارون) صاحب نظرية النشوء والارتقاء.

فالله ﷻ ابتدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل ذريته من سلالة من ماء مهين؛ إذ خلق آدم من طين بيديه، ونفخ فيه من روحه، وخلق منه أنثاه، وعلمه الأسماء، وأسجد له ملائكة السماء، فسجدوا كلهم أجمعون، إلا إبليس أبى، ونهاه عن الأكل من الشجرة فنسى، فأكل منها فعصى وغوى، وتلقى كلمات منه تعالى، فقالها فتاب عليه وهداه، وأهبطه إلى الأرض خليفة فيها بعد أن هيأها له، وسخر له كل ما فيها.

قال تعالى عن خلق آدم: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ *

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ ﴾ [ص: 71-74].

ثم علم الله تعالى آدم الأسماء والبيان قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 31]، وقال جل جلاله: ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: 1-4].

وكرم الله بني آدم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء: 70].

17- الحرية الإنسانية في الإسلام

من القضايا الشائكة قضية الجبر والاختيار، وهل الإنسان مخير أو مسير؟ وقد أثبتت العقيدة الإسلامية حريةً للإنسان ومشيئة يثاب ويعاقب بمقتضاها.

فقد أعطى الله الإنسان القدرة التي يستطيع بها أن يقدم على فعل الخير أو الشر، قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: 10]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: 29].

ومهما كانت قدرة الإنسان ومشيئته فهي لن تخرج عن قدرة الله ومشيئته، كما قال ﷻ: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 28-29].

على أن الإنسان لو كان مجبرًا في كل أعماله لما أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ولما كلف الله الناس بالأمر والنهي؛ إذ سلب اختيارهم، ولا ريب أن هذا عبث يتنزه عنه الحكيم العليم!

وإذا كان بعض أصحاب الرياسات والزعامات الدينية قد ادعى أن بإمكانه أن يحمل خطايا غيره، فإن الإسلام يفند هذا ويكذبه، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: 38].

18- عدم مؤاخذة الإنسان بجرم غيره (المسؤولية الفردية)

إذا كان العدل هو الصفة المميزة للإله فلا يمكن في شريعته أن يؤاخذ إنسان ما بجرم وجريرة غيره، هذا ما أصلته العقيدة الإسلامية حين تقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: 39]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: 95].

إذن الأصل ألا يحمل الإنسان تبعة غيره؛ لأن هذا يتنافى ومبدأ العدل الذي أقرته شرائع السماء كافة.

من هذا نعلم فضل العقيدة، وكيف أنها عالجت خطيئة آدم عليه السلام التي تحدثت عنها كتب النصارى دون قتل أو صلب، بل إن جزاء الخطيئة لحق فاعلها فقط وهو آدم عليه السلام وزوجته، ثم تاب الله عليه واجتباه واصطفاه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: 122].

19- الحفاظ على أمن المجتمع من خلال وسطية العقيدة

من أصول العقيدة الإسلامية وجوب اتباع أئمة المسلمين وطاعتهم في المعروف وعدم جواز الخروج عليهم ما لم يأتوا بكفر بواح عليه من الله برهان.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59].

بل عدت الخروج عليهم ومفارقة الجماعة والموت على ذلك من صفات الجاهلية، وعند البخاري «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية»[1]، وحذرت أيضًا من مناصبة حكام المسلمين العداء؛ إذ

(1) رواه البخاري (7054).

الحكم في الإسلام عمل تعبدي يُبتغى به وجه الله، وتُقام به الخلافة الإنسانية في الأرض.

كما حافظت العقيدة على وحدة الصف المسلم، ودعت إلى نبذ التطرف والتكفير؛ ذلك أن من مقررات العقيدة الصحيحة أن أصحاب الكبائر لا يكفرون، بل هم تحت المشيئة، كما هو مبسوط في مظانه.

فمتى كانت هذه عقيدة الإنسان فإنه يصبح من أبعد الناس عن الحكم على غيره من المسلمين بغيًا منه وجهلًا، ويكون من أشدهم نبذًا للتطرف والغلو الذي سام أصابه غيرهم من المسلمين أشد الضرر وصنوف الأذى.

20- الولاء والبراء وصيانة حوزة المسلمين

الإسلام يحث المسلم أن يتلقى من غير المسلم ما ينفعه في شتى أنواع العلوم، والتعاون معه في الأمور الدنيوية لما فيه خير البشرية، من تعاون في صناعة وتجارة وتعليم والمحافظة على البيئة ورعاية للمجتمعات مما يضرها.

ولكن الإسلام لا يبيح بل يرفض أن يتلقى المسلم أي شيء يتعلق بعقيدته من غير المسلم، حرصًا على صفاء العقيدة ونقائها ووحدة مصدرها.

وبما أن الأساس الأول لعقيدة الولاء هو الحب الذي يعد الوشيجة العظمى التي يلتقي عليها المسلمون، فإن من لوازم هذا الحب أن يؤدي المسلم الحق إلى أخيه، وهذه الحقوق كثيرة جدًا منها: نصرته، ومودته، وزيارته، وإكرامه، والسلام عليه، وحماية عرضه، والرد والزود عنه، ومواساته... إلخ.

كذلك مما ينبني على عقيدة الولاء والبراء الدفاع بالنفس عن الأخ، وكسر شوكة الظالم له، وبذل المال لإعزازه وتقوية جانبه, والذب عن عرضه وسمعته، والدعاء له بظهر الغيب بالنصر والتوفيق، وتتبع أخبار المسلمين في أنحاء المعمورة، والوقوف على أحوالهم، ودعمهم بقدر الاستطاعة.

كذلك أيضًا من مقتضيات هذه العقيدة أن يبرأ المسلم من الكفار وأعوانهم دون أن يظلمهم أو يجور عليهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: 8][1]، وأن يحفظ عورات المسلمين عن أعدائهم خاصة وقت نشوب الحروب؛ ذلك أن التجسس خيانة عظمى تسقط على ممارستها البلاد، وتصير معها حمى مستباحًا لكل ذي عدوان.

ومن ثم فإن العقيدة الإسلامية تقضي على هذا العمل بأنه صورة من صور الموالاة للكفار، والتي تعد من خوارم العقيدة ونواقضها، قال

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (62/3).

تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: 22].

21- عدم الإكراه في الدين

تميزت العقيدة الإسلامية بميزة فريدة متمثلة في عدم إكراه أحد من الخلق على الدخول في الإسلام، أو إجباره على اعتناقه، بل عدت من دخل فيه من دون اقتناع واختيار وحب، من المنافقين الذين لا يُقبل إيمانهم ولا تنفعهم دعواهم.

وجاءت أصول العقيدة واضحًا غاية الوضوح، وهو قول الله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256].

ومن خلال هذا المبدأ كفل الإسلام للناس في كل البلدان الحرية الدينية؛ فلم يجبر أحدًا على اعتناقه مكرهًا قهرًا، بل ترك الناس وما اختاروا لأنفسهم، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99].

هذا مع القناعة التامة واليقين أن الإسلام هو الدين الحق المبين، وأن عقيدته هي الصواب، «فلغير المسلم أن يمارس حريته في العبادة

والإيمان الكامل، شريطة ألا تمس هذه الممارسة دعوة لشرك أو فساد أو تعطيل لأداء المسلمين لشعائرهم أو طعنًا فيها، فهي حرية مكفولة ومسؤولة لا [مطلقة]»[1].

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ما نصه: «لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي في دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكره أحدًا على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بينة»[2].

22- النية في الإسلام

من محاسن العقيدة الإسلامية أنها أولت النية اهتمامًا عظيمًا في وقت ربطت فيه بينها وبين صحة العمل.

فقد قررت حصول الأجر عند وجود القصد الشريف والنية الخالصة لله، حتى وإن لم يحصل العمل؛ ذلك بأن النية تُعد أساس العمل وقاعدته، ورأس الأمر وعموده، ولذا قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[3].

---

(1) ضمانات الحرية بين واقعية الإسلام وفلسفة الديمقراطية، د. منيب محمد ربيع: (115).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (1/416-417).

(3) رواه البخاري (1).

وقال ﷺ أيضًا: «**إذا مرض العبد أو سافر كُتب له ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**»[1].

وبالنية الطيبة تنقلب المباحات والعادات إلى طاعات وقربات إلى الله، فمن تناول غذاءه بنية حفظ حياته وتقوية جسده، ليستطيع القيام بما أوجبه عليه ربه، من حقوق وتكاليف لأهله وأولاده –كان طعامه وشرابه مع النية الصالحة عبادة، ومن أتى شهوته مع ما أحله الله له من زوجة، يقصد إعفاف نفسه وأهله، وابتغاء ذرية صالحة، كان ذلك عبادة تستحق المثوبة والأجر من الله، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟! قال: «**أليس إن وضعها في حرام كان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر**»[2].

فالعقيدة التي تجعل الحياة خاضعة لمرضاة الرب تعالى بالنية الخالصة لله والقصد الحسن، مما يزيد من المظاهر الطيبة في حياة الناس، وخاصة فعل الخيرات وترك المنكرات، وزيادة الفاعلية في الحياة – لتصور عظم الجزاء على ذلك في الدنيا راحة نفسية وطمأنينة قلبية، وفي الآخرة الجنة والنعيم.

---

(1) رواه البخاري (2996).

(2) رواه مسلم (2376).

23- العلاقة بين العقيدة والأخلاق

الدين هو الذي يحدد للإنسان سلوكه المستقيم، ويرسم له طريقًا موصلة إلى غايته، ثم يدفعه إلى السير فيها من خلال آيات الوعد والوعيد، وإظهار الحكم والعلل من هذه السلوكيات.

أما القانون وحده فلا يكفي لضبط سلوك الإنسان، كما أن القانون لا بد له من سلطان الحكومة حتى يُنفذ ويُراعى، وثم ارتباط وثيق بين العقيدة والأخلاق، يوضحه قول رسول الله ﷺ وقد سئل: أي المؤمنين أكمل إيمانًا؟ قال: «**أحسنهم خلقًا**»[1].

فالإيمان قوة عاصمة عن الدنايا، دافعة إلى المكرمات، ومن هنا فإن الله تعالى عندما يدعو إلى خير أو ينفر من شر يجعل ذلك من مقتضيات الإيمان به جل وعلا، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: 119].

إن عقيدة المؤمن في الله أولًا وفي الحساب والجزاء ثانيًا تجعل ضميره في الحياة صحوًا يقظًا، فهو يراقب نفسه ويحاسبها ويلومها، ولا ريب أن هذا الضمير الحي الذي يتكون في ظل الإيمان والعقيدة أثره في مجالات الحياة كلها، يُلمس أثره في أداء الحقوق المالية، وكذا في

(1) أخرجه ابن ماجه (4259)، والحاكم (540/4)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. وقال الذهبي: صحيح.

الاعتراف بالجريمة في شجاعة وتحمل للعقوبة؛ خشية من الله وطلبًا لمرضاته[1].

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله: «والسر في أن الإنسان يمتاز عن سائر الحيوانات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره ولا يوضع في يده ولا عنقه ولا يجري في دمه ولا في عضلاته ولا في أعصابه، وإنما هو معنى إنساني روحاني أساسه الفكرة والعقيدة»[2].

كما ربطت آيات القرآن بين الكفر بالله وإنكار ألوهيته، والكفر باليوم الآخر وبين سيء الأخلاق في مثل قوله ﷻ: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: 22].

24- العقيدة وموافقة الفطرة الإنسانية

جاءت العقيدة الإسلامية موافقة للفطرة الإنسانية السليمة، وملبية لندائها؛ إذ إن أول ما تتوجه إليه الفطرة السليمة هو إله خالق لها ولهذا الكون، تتوجه إليه بالتوحيد اعتقادًا، وبالعبادة انقيادًا وخضوعًا، وهذا ما جاء به الإسلام في جانب العقيدة[3].

---

(1) انظر: القيم الحضارية في السنة النبوية: (261/1).

(2) الدين، للدكتور محمد عبد الله دراز (101).

(3) انظر: الإسلام الدين الفطري الأبدي، أبو النصر الحسيني: (24-40).

يقول برجسون في كتابه الأخلاق: «قد نرى أجيالًا من الإنسانية على اختلاف عصورهم خلت من العلم والفن والفلسفة، ولكننا لا نعرف قط أن مجتمعًا لم يكن له دين»[1].

والتوحيد الذي أمرت به العقيدة الإسلامية له انسجام بالفطرة عجيب، ولذا قالت الرسل لأقوامهم كما يحكي القرآن: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 10].

وأبان الله تعالى أن الإيمان به وبما أنزله على رسله هي فطرة إنسانية، فقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

وقال ﷻ: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾ [البقرة: 138].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الإيمان بالله فطري ضروري، وهو أشد رسوخًا من مبدأ العلم الرياضي كقولنا: الواحد نصف الاثنين»[2].

---

(1) انظر: برجسون، كتاب الأخلاق: (210).

(2) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (15/2).

إن النداءات الفطرية فينا تدعو لوجود خالق مهيمن عظيم، يجيب من دعاه، ويعطي من سأله، ويمده بالعون عند حلول الشدائد والمصائب. فالإنسان دائمًا في حاجة إلى الإيمان والتدين، والعقيدة والدين ضرورة من ضرورات حياته، وحاجة من حاجات نفسه، فلا غنى له عن الإيمان بربه وعن عبادته بحال من الأحوال، ومن هنا لم تخل أمة وجدت على وجه الأرض ومنذ عهد الإنسان بالحياة من عقيدة ودين، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24].

قال بازماك المؤرخ الإغريقي مقررًا هذه الحقيقة: «وجدت في التاريخ مدن بلا حصون ولا قصور، وبلا سدود ولا قناطر، ولكن لم توجد مدن بلا معابد...»[1].

وحسب إنسان أن إيمانه واعتقاده بالله يوافق شعوره الفطري والنتائج النظرية التي يتوصل إليها الباحثون والعلماء، أو أن يتفق شعوره مع إحساس الكثرة الكاثرة من المجموعة الإنسانية.

(1) انظر: عقيدة المؤمن، للشيخ أبو بكر الجزائري: (26، 27).

25- موازنة العقيدة بين حاجات الإنسان الروحية والجسدية

مما تميزت به العقيدة الإسلامية: الواقعية والبعد عن الأفلاطونية المثالية والتهويم في الخيال، حيث راعت احتياجات الإنسان بحسب تكويناته الروحية والجسدية.

ولسنا نعني بالواقعية الرضا بالواقع أيًّا كان وضعه، أو تكييف مبادئ العقيدة حتى تساير واقعية الحياة دون اعتبار أو حكمة، ولكن نعني بالواقعية أن العقيدة تتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي والأثر الواقعي الإيجابي، بمعنى أنها تتعامل مع الحقيقة الإلهية متمثلة في آثارها الإيجابية، وتتعامل مع الحقيقة الكونية متمثلة في مشاهدها المحسوسة المؤثرة أو المتأثرة.

وتتعامل مع الحقيقة الإنسانية كما هي في الواقع، من حيث كونها مركبة من روح ومادة، ودم وأعصاب وغرائز، يدل على ذلك اعترافها بخلقة الإنسان، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12].

ويقول أيضًا ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 12].

فهذه الآيات تعترف بخصائص الإنسان ونفسيته، وتتعامل معه وفقها وما تقتضيه، ومن ناحية أخرى نرى موافقة العقيدة للتركيبة البشرية من حيث المنهج الذي تقدمه له، فهو منهج يتفق وطبيعة الإنسان، وإمكاناته وطاقاته الحقيقية، وكما يقال: «هذه الواقعية واقعية مثالية أو مثالية واقعية».

قال تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: 286].

وقال جل جلاله: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء: 34].

26- بيان العقيدة طريق النجاة للإنسان في الدنيا والآخرة

رسمت العقيدة للإنسان البرنامج العملي الذي لو سلكه كتب له التوفيق في دنياه وآخرته؛ ذلك أن الله ﷻ لم يخلق الإنسان في هذه الحياة هملًا، ولم يتركه سدى، بل رسم له طريق السعادة، وهيأ له أسبابه، ومكنه من معرفته؛ بإرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة: 36].

وبيَّن سبحانه الغاية الأولى من خلقه، فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56].

إذن طريق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة هي العبودية لله كما أرادها، وامتثال الأمر واجتناب النهي.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بمجموعة من العبادات والمعاملات والسلوكيات من شأنها أن ترتقي بالمسلم، وتأخذ بناصيته نحو السمو والسعادة والطمأنينة التي ينشدها كل إنسان.

ولقد حوى القرآن والسنة المطهرة صفات لهذا الطريق وعلاماته، حتى قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي»[1].

ولقد قال المولى جلت قدرته: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9].

كما شددت العقيدة على حرمة تعاطي ما تنكره العقول ، وتنفر منه ، كاعتقاد التأثير في العدوى والأنواء وغيرها ، واعتقاد أن الغول تتراءى للناس في الفلوات ، فتتغول لهم . أي : تتلون لهم . في صور شتى ؛ لتضلهم عن الطريق فتهلكهم ، فأبطلت العقيدة الإسلامية ذلك[2].

---

(1) رواه مسلم (4425).

(2) انظر: النهاية لابن الأثير : (396/3)

كما كان موقفها من اعتقاد تأثير النجوم على الحوادث الأرضية صريحاً ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد**»[1].

والمقصود : النهي عن اعتقاد أن للنجوم في سيرها واجتماعها وتفرقها تأثيراً على الحوادث الأرضية ، وهو ما يسمى بعلم التأثير ، أما علم التسيير . وهو : الاستدلال عن طريق المشاهدة بسير النجوم على جهة الشرق أو الشمال ونحو ذلك فجائز[2].

27- وسطية العقيدة الإسلامية

تعد العقيدة والنظرة الإسلامية للكون والحياة وسطاً بين الأفكار والمذاهب قديماً وحديثاً ، ذلك بأن فكراً ضالاً ينكر وجود الخالق ، بل ينكر كل ما وراء الطبيعة المحسوسة ، وهو ما يعرف المطلب النفسي منذ أقدم العصور لا يمكن رفضه واعتباره باطلًا بكل سهولة»[3].

ومن الواقع نرى مدى التهافت البشري والرغبة الجامحة في تعرف المستقبل الذي هو بلا شك من الغيب، نرى ذلك من خلال هذه

(1) رواه أبو داود (3905) ، وابن ماجه (3726) ، ورجاله ثقات.
(2) انظر : معالم السنن للخطابي : (4/229 -230).
(3) انظر: الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان: (82).

الكثرة التي تتهافت على قراءة الأبراج المنتشرة في الصحف، وزيادة عدد المشعوذين والدجاجلة في أقطار العالم الذين يدعون معرفة الغيب، والتكهن بالمستقبل وما يحمله من أمل أو ألم..

وقد جاءت شكوى الغرب من طغيان المادة وأثر ذلك على المجتمع الأمريكي – خاصة – على لسان وزير خارجية أمريكا (فوستر دالاس)، إذ يقول: «إن هناك شيئًا ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا، وإلا لما أصبحنا في هذا الحرج وفي هذه الحالة النفسية»[1].

28- المقاصد الإنسانية في العقيدة الإسلامية

بما أن الدين الصحيح هو الذي يعطي التصور الصحيح للكون والإنسان والخالق جل جلاله، فإنه يسعى في مصلحة الإنسان، ويهديه إليها، ويدعوه للحرص عليها كجزء من اعتقاده الصحيح حول الإنسان وكرامته.

لأجل هذا جاءت العقيدة لمراعاة ضروريات الإنسان، وصيانتها، وجاءت تشريعات الدين وفقًا لهذه المصالح والأصول، ومن أعظم مصالح الشريعة خمسة أمور:

- المحافظة على الدين الذي به عيش النفوس وزكاتها.
- المحافظة على الأنفس.
- المحافظة على العقول.

---

(1) حرب أم إسلام، فصل حاجتنا الروحية، تأليف جون فوستر دالاس: (337).

- المحافظة على الأموال.
- المحافظة على النسل[1].

29- شفاء حيرة الإنسان بالعقيدة الصحيحة

استطاعت العقيدة أن تجيب على تساؤلات لطالما حيرت الإنسان قديمًا وحديثًا، وكادت حيرته أن تفتك به.

بل دعت هذه الحيرة أحد الشعراء – وهو إيليا أبو ماضي – أن يتساءل قائلًا:

جئت لا أعلم من أين، ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت

هناك ثلاثة أسئلة تلح على الإنسان في داخله، وتضعه أمام مشكلات ثلاث تستلزم حلها.

فإما أن يعيش في قلق وحيرة تجاهها، وإما أن يطرحها عن فكره طرحًا كليًا ويعيش في دوامة كما تسير حياته ومطالبها، وإما أن يظفر بحلها حلًا صحيحًا يطمئن إليه قلبه وتهدأ إليه نفسه، فيسير في حياته بهديه.

- من الذي أوجدني بعد أن لم أكن شيئًا مذكورًا؟
- ما هي الغاية التي وجدت من أجلها مزودًا بتلك الخصائص؟

---

(1) انظر: مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، د. عبد المجيد النجار: (59-203)، والمقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. إحسان مير علي: (617/2) وما بعده.

- إلى أين المصير بعد عبور جسر الحياة، وما هي النتائج التي تترتب على أعمالي فيها؟

هذه هي الأسئلة، وقد أعطتنا العقيدة الإسلامية الأجوبة عليها، ولفتت أنظارنا إلى الأدلة والبراهين العقلية والواقعية التي تدل عليها.

فأبانت لنا أن (الله) هو الذي أوجدنا من العدم، وقدمت لنا الأدلة على ذلك من الكون ومن أنفسنا.

كما أوضحت لنا حكمة الله من خلقنا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وجعلنا بهذه الخصائص ليمتحننا، ويبلو إرادتنا في ظروف هذه الحياة، وقدمت لنا الأدلة المنطقية على ذلك مستندة إلى حكمة الخالق وعلمه وقدرته.

كما أبانت لنا أيضًا أن وراء هذا الامتحان حكمةً، هي الجزاء بالثواب أو بالعقاب، وأن الجزاء الأمثل لا يكون في ظروف هذه الحياة، وإنما ادخره الله ﷻ لحياة الآخرة التي إليها المصير.

فحين يجد الإنسان الجواب الصحيح على هذه الأسئلة تنحل لديه المشكلات الكبرى في تصوراته لهذه الحياة، وتتضح له معالم الطريق الذي يجب عليه أن يسلكه.

30- التحذير من تكفير المسلم وبيان آثار ذلك

من محاسن عقيدة الإسلام التحذير من التكفير، فلا يجوز الحكم على المسلم بالتكفير إلا ببرهان واضح ودليل ساطع، فقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء به أحدهما**»[1]، وعن ثابت بن الضحاك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله**»[2].

وهذا وعيد عظيم لمن كفر أحدًا من المسلمين، وليس هو كذلك. فهذا الحديث وأمثاله فيه التحذير من التكفير والزجر عنه؛ لأنه حكم شرعي مضبوط بضوابط معلومة من نصوص الكتاب والسنة، فلا يصار إليه بمجرد الهوى والجهل[3].

وأنكر رسول الله ﷺ على أسامة حينما قتل من قال: لا إله إلا الله، فعن أسامة بن زيد ﷺ قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلًا، فقال: لا إله إلا الله. فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أقال: (لا إله إلا الله) وقتلته؟**» قال: قلت: يا رسول الله! إنما قالها

---

(1) رواه البخاري (6103).

(2) رواه البخاري (610)؛ ومسلم مختصرًا (110).

(3) انظر: الغلو في الدين، د. عبد الرحمن اللويحق: (251-374).

خوفًا من السلاح. قال: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟!**»، فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[1].

31- محاسن العقيدة الإسلامية في رعاية أهل الذمة

تمتع غير المسلمين المقيمون في بلاد المسلمين بسلسلة من الضمانات التي منحها لهم المجتمع المسلم بهدي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولسوف نعرض لأهم هذه الضمانات، التي وردت في العقيدة الإسلامية من خلال مصدريها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ومن هذه الضمانات:

أولًا: ضمان حرية المعتقد

لم يعمد المسلمون طوال تاريخهم الحضاري إلى إجبار الشعوب أو الأفراد الذين تحت ولايتهم على الإسلام، وذلك أن العقيدة أكدت على أمور كان ينبغي عليهم مراعاتها، ومنها[2]:

- حتمية الخلاف وطبيعته: فقد خلق الله الإنسانية وفق هذه السنة الكونية، فاختلافهم في شرائعهم واقع بمشيئة الله تعالى ومرتبط بحكمته، يقول الله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا**

(1) رواه البخاري (4269، 6872)، ومسلم (96).

(2) انظر: الحرية الدينية بين المسلمين وأهل الكتاب، أ.د. خالد بن عبد الله القاسم.

﴿الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48].

وقال أيضًا ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118].

قال ابن كثير: «أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم...».

ولما كان الاختلاف والتعدد آية من آيات الله، فإن الذي يسعى لإلغاء هذا التعدد كليةً فإنما يروم محالًا، ويطلب ممتنعًا، لذا كان لا بد من الاعتراف بالاختلاف[1].

● مهمة المسلمين الدعوة إلى الله لا أسلمة الناس، وعرض الإسلام لا فرضه: أكدت العقيدة الإسلامية أن مهمة الدعاة هي: إبلاغ الناس آيات الله، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وجدالهم بالتي هي أحسن دون إجبار أو اضطرار، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 82]، وقال تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: 22].

---

(1) انظر: معاملة غير المسلمين، د. محمد البار، وحقوق الإنسان (300-320)، في اليهودية والمسيحية والإسلام مقارنة بالقانون الدولي، د. خالد الشنيبر.

● تكريم النفس الإنسانية: كرم الله تعالى الجنس البشري على سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: 70].

وأكد نبينا ﷺ وصحبه احترام النفس الإنسانية، ففي الخبر أن سهل بن حنيف وقيس بن سعد كانا قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي من أهل الذمة، فقالا: إن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام. فقيل له: إنها جنازة يهودي؟! فقال: «**أليست نفسًا**»[1].

ومن تكريم الله للجنس البشري: ما وهبه من العقل الذي يميز به بين الحق والباطل، ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: 10]، وبموجبه وهبه الحرية والإرادة الحرة لاختيار ما يشاء، ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: 3]، وعليه فالإنسان يختار ما يشاء من المعتقد، والله يتولى في الآخرة حسابه.

(1) رواه البخاري (1312)، ومسلم (690).

ثانيًا: حرية ممارسة العبادة

ضمنت العقيدة الإسلامية لأهل الذمة الحفاظ على مقدساتهم وشعائرهم ضمن الحماية الكاملة لهم ما داموا في بلاد المسلمين وتحت سلطانهم، يقول ابن سعد: «كتب رسول الله ﷺ لأسقف بني الحارث بن كعب، وأساقفة نجران، وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم: أن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير، من بيعهم وصلواتهم ورهبانهم، وجوار الله ورسوله، لا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا كاهن عن كهانته»[1].

ويمتد أمان الذمي على ماله، ولو كان خمرًا أو خنزيرًا، وينقل الطحاوي إجماع المسلمين على حرية أهل الذمة في أكل الخنازير والخمر وغيره مما يحل في دينهم، فيقول: «وأجمعوا على أنه ليس للإمام منع أهل الذمة من شرب الخمر وأكل لحم الخنازير واتخاذ المساكن التي صالحوا عليها، إذا كان مصرًا ليس فيه أهل إسلام (أي في بلادهم التي هم فيها الكثرة)»[2].

وينقل العيني عن الزهري قوله: «مضت السنة أن يرد أهل الذمة في حقوقهم ومعاملاتهم ومواريثهم إلى أهل دينهم؛ إلا أن يأتوا راغبين في حكمنا، فنحكم بينهم بكتاب الله تعالى»[3].

---

(1) الطبقات الكبرى (266/1).

(2) اختلاف الفقهاء (233).

(3) عمدة القاري (16/16).

ثالثًا: حسن العشرة والمعاملة الحسنة

كما أمرت العقيدة الإسلامية المسلمين ببر مخالفيهم في الدين، الذين لم يتعرضوا لهم بالأذى والقتال، فقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

قال الطبري: «عنى بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم... وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ يقول: إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم»[1].

رابعًا: العدل في معاملتهم ورفع الظلم عنهم

لقد أمر القرآن الكريم بالعدل، وخص – بمزيد تأكيده – على العدل مع المخالفين الذين قد يظلمهم المرء بسبب الاختلاف والنفرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8].

---

(1) جامع البيان (63/13).

قال القرطبي: «ودلت الآية أيضًا على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وأن يقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق، وأن المثلة بهم غير جائزة، وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا، وغمونا بذلك، فليس لنا أن نقتلهم بمثله قصدًا لإيصال الغم والحزن إليهم»[1].

تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: «العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سمع لهم جميعًا دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أو ليس هذا منتهى التسامح؟! أي روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟! ومتى؟!»[2].

(1) الجامع لأحكام القرآن (110/6).

(2) شمس العرب تسطع على الغرب (364).

المبحث الرابع

محاسن العقيدة في الجانب العلمي

32- نصب الأدلة والبراهين على صحة العقيدة

حثت العقيدة العقول على النظر والاستدلال، لتصل بالبرهان والدليل إلى معرفة الله وتعظيمه، والقيام بحقوقه.

● فتجدها تارة تلفت النظر إلى أنه لا يمكن أن يوجد المخلوق هكذا، ولا أن يوجد من دون موجد ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35].

● أما كون الإنسان موجدًا لنفسه فهذا أمر ما ادعاه الخلق، وأما وجود الإنسان هكذا من غير موجد، فأمر ينكره منطق الفطرة ابتداء، ولا يحتاج إلى كثير جدل، وإذا كان هذان الفرضان باطلين، فإنه لا يبقى إلا الحقيقة التي يقولها القرآن وهي أن الخلق خلقه الله الواحد الأحد.

● وتارة تدعو إلى النظر في السماوات والأرض، فهل هم خلقوها، إذ لم تخلق نفسها، كما أنهم لم يخلقوا أنفسهم.

● وتارة تفتح أمام العقل والبصر صحيفة السماء، وما حوت من شمس مشرقة، وقمر منير ونجم مضيء، فيقول ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا

إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: 6].

وفي الآية الأخرى يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185].

● ومرة تلفت النظر إلى الأرض، وما فيها من أشجار متنوعة، ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: 4].

● ومرة تلفت النظر إلى ما ينزل من السماء من الماء الذي به قوام الحياة، ولو شاء لجعله أجاجًا لا نفع فيه، ومرة يتحدث عن وحدانيته وانفراده بالملك والتدبير، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91]. وفي الآية الأخرى يقول ﷻ في جزالة لفظ، وفخامة معنى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22]، إلى غير ذلك من الأدلة.

وأدلة الخلق في الأنفس والكون مؤيدة بالمنطق العقلي الذي لا يمكن أن يحيل الدقة العجيبة في الكون والخلق عمومًا إلى الطبيعة أو غيرها ولا ينسبها إلى الله الخالق ﷻ.

33- دور العقل في أصول الاعتقاد الإسلامي

من محاسن العقيدة الإسلامية أنها لم تلغ العقل ودوره في فهم ومعرفة الأصول الاعتقادية، فهو لا يتناقض مع الأصول النصية النقلية، بل ما صرح منه اتفق مع ما صح منها لا محالة.

وهو شرط في التكليف، وآلة للتمييز بين الحسن والقبيح، ولولاه لم يكن تكليف، ولا توجه أمر ولا نهي، لكنه دائمًا يحتاج إلى هداية الوحي وتنبيه الرسل لتقويمه وتأييده.

وإذا كانت القضية الأساسية في المعتقد الإسلامي هي الإيمان بالله، وأمكن إثباتها بالعقل المجرد عن الهوى من خلال النظر في آيات الله المبثوثة في الكون، فإن كل قضايا العقيدة الأخرى تابعة لهذا الأصل العظيم، فإذا آمنت بالله فلا بد أن تؤمن بكل ما أخبر به في كتابه

العزيز وما أعلم به رسله الكرام الذين اختارهم من بين خلقه لتبليغ رسالته إلى البشر[1].

فقد دلل القرآن الكريم على إمكانية البعث بأدلة عقلية يقينية قاطعة منها:

- خلق الإنسان أول مرة.
- وخلق السماوات والأرض.
- وإحياء الأرض بعد موتها.
- وإخراج النقيض من النقيض.

كما دلل على حكمته سبحانه بالعدالة الإلهية في إثابة المحسن وعقوبة المسيء، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح؛ لأن ما خالف العقل الصريح باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل»[2].

وفي موضع ثان يقول: «القرآن جاء بالأدلة العقلية على أكمل وجه، على أصول الدين من الإلهيات والنبوات والسمعيات وغيرها»[3].

---

(1) انظر: الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد، د. سعود العريفي: (189) وما بعدها.

(2) مجموع الفتاوى لابن تيمية (490/11).

(3) السابق: (196/3).

وفي موضع ثالث يقول: «وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية وإن كان معلومًا بالفطرة الضرورية البديهية، وبالشرعية النبوية الإلهية، فهو أيضًا معلوم بالأمثال المضروبة التي هي المقاييس العقلية»[1].

34- مكانة العلم والعلماء في العقيدة الإسلامية

أشادت العقيدة الإسلامية بالعلم والعلماء، ورفعت من شأنهما، وحثت على تعلم العلوم جميعها بما يصلح به أمر الدين والدنيا، ولا عجب فقد قررت العقيدة الأصول الإيمانية بأدلة برهانية لا تخالف عقلًا صريحًا، ولذا تكرر قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111].

والناظر في آيات القرآن يرى مدى التكريم الذي حظي به العلماء في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28]، وقال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ

(1) السابق: (37/2).

﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11].

وقد نعت آيات القرآن على الكافرين تقليدهم الأعمى لآبائهم تقليدًا لا يستند إلى دليل أو برهان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170].

قال القرطبي: «قال ابن عطية: أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد»[1].

35- منع العقيدة التطير والتشاؤم واستحبابها الفأل الحسن

وكما حرم الإسلام ادعاء علم الغيب، اتجه أيضًا نحو باطن المسلم ونفسه، التي عادةً ما تنزع إلى التطير أو التشاؤم، فأكد أن الطيرة بأنواعها لا تضر المرء ولا تنفعه، علاوة على أنها من قوادح العقيدة وخورامها؛ لما فيها من سوء ظن بالله، وعدم تفويض الأمر إليه، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة ولا صفر**»[2].

(1) الجامع لأحكام القرآن: (143/3).

(2) رواه البخاري: (5387).

وقال ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، والفأل الصالح: الكلمة الحسنة**»[1].

والتطير يجعل أبواب الوساوس تنفتح على المرء من كل مكان؛ حيث يدخل عليه الشيطان من خلالها ، في المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى، بما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، فهي نوع جهالة في التفكير، وسفه في العقل، ولذا لا تجد متطيرًا إلا وعنده لوثة من عقل، وسفه يجره إلى موابئ العرافين والدجالين، ويوقف كثيرًا من قراراته ومسارات حياته على إيحاءاتهم وتكهناتهم المضلة!

كما شددت العقيدة على حرمة تعاطي ما تنكره العقول، وتنفر منه، كاعتقاد التأثير في العدوى والأنواء وغيرها، واعتقاد أن الغول تتراءى للناس في الفلوات، فتتغول لهم – أي: تتلون لهم – في صور شتى؛ لتضلهم عن الطريق فتهلكهم، فأبطلت العقيدة الإسلامية ذلك[2].

كما كان موقفها من اعتقاد تأثير النجوم على الحوادث الأرضية صريحًا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**»[3].

---

(1) رواه ابن ماجه في سننه: (3536)، وانظر السلسلة الصحيحة (786).

(2) انظر: النهاية لابن الأثير: (396/3).

(3) رواه أبو داود (3905)، وابن ماجه (3726)، ورجاله ثقات.

والمقصود: النهي عن اعتقاد أن للنجوم في سيرها واجتماعها وتفرقها تأثيرًا على الحوادث الأرضية، وهو ما يسمى بعلم التأثير، أما علم التسيير – وهو: الاستدلال عن طريق المشاهدة بسير النجوم على جهة الشرق أو الشمال ونحو ذلك – فجائز[1].

36- وسطية العقيدة الإسلامية

تعد العقيدة والنظرة الإسلامية للكون والحياة وسطًا بين الأفكار والمذاهب قديمًا وحديثًا؛ ذلك بأن فكرًا ضالًا ينكر وجود الخالق، بل ينكر كل ما وراء الطبيعة المحسوسة، وهو ما يعرف بالإلحاد، وفكرًا على النقيض منه يزعم أن للعالم أكثر من إله ويقول بالتعدد، أو يمثل الإله بخلقه ومخلوقاته، بين هذا وذاك تقف العقيدة الإسلامية موقفًا وسطًا، فتثبت وجود الله، وتبرأ من الشرك والوثنية، والتشبيه والتمثيل لله ﷻ، تفرده وتوحده ذاتًا وصفاتٍ وأفعالًا[2].

● وعقيدة أهل السنة والجماعة وسط بين عقائد فرق الضلال المنتسبة إلى الإسلام من خوارج ومرجئة وقدرية وجبرية ومعتزلة، على ما هو مفصل في كتب العقيدة.

قال شيخ الإسلام: «فإن الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة، والسنة في الإسلام كالإسلام في الملل، فالمسلمون في

(1) انظر: معالم السنن للخطابي: (4/229-230).
(2) انظر: الوسطية، د. ناصر العمر: (137-155).

صفات الله تعالى وسط بين اليهود الذين شبهوا الخالق بالمخلوق، وهي صفات النقص، فقالوا: إن الله فقير، وإن الله بخيل، وإن الله تعب لما خلق العالم فاستراح! وبين النصارى الذين شبهوا المخلوق بالخالق، فوصفوه بالصفات المختصة بالخالق، فقالوا: هو الله. والمسلمون وصفوا الخالق بصفات الكمال ونزهوه عن صفات النقص...» [1].

تتجلى أيضًا وسطية العقيدة في التوازن في علاقة العبد بربه بين موجبات الخوف والرهبة وموجبات الأمن والطمأنينة.

فصفات الله الفاعلة في هذا الكون وفي حياة الناس والأحياء تجمع بين هذا الإيمان وذاك في توازن تام، وبهذا يسير الإنسان في حياته وهو بين الخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 165].

وبهذا يقع التوازن في علاقة العبد بربه، ولا يخفى ما لهذا من أثر طيب على الإنسان، حيث تستقيم حياته ويسير ثابت الخطا، لا يستهتر ولا يغفل في الوقت نفسه، عنده أمل في رحمة الله إن زل أو أخطأ.

* * *

(1) كتاب الصفدية لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد: (310/2).

الخاتمة

مما سبق يتضح لنا محاسن العقيدة الإسلامية في جميع النواحي التي تكتنف حياة الإنسان، ابتداء من تساؤلاته عن الوجود والحياة والمصير، مرورًا بصلته بربه، ومعاملاته مع بني جلدته من المسلمين وغيرهم، وانتهاء بتفصيل الحياة الأبدية في الآخرة.

كما اتضح لنا مدى موائمة هذه العقيدة لفطرة الإنسان، وتلبيتها لحاجاته البشرية، وتميزها عن غيرها من العقائد المنحرفة بالوسطية والاعتدال، والبعد عن الغلو والتطرف، ودعوتها للسلام من خلال الربط الوثيق بين الإيمان والأخلاق الفاضلة، ورعاية أهل الملل الأخرى في ظل دولة الإسلام، وحرصها على العلم ورعاية العلماء، وإيمانها العميق بضرورة التسليم فيما يقوم عليه دليل من الكتاب وصحيح السنة.

وهكذا تتجلى حقائق هذا الدين ببيان بعض من محاسنه على المستوى العقدي، والتشريعي والخلقي فيما يكفل للإنسان الحياة السعيدة، ويحقق له ما تصبو إليه نفسه من الراحة والطمأنينة، ويبعده عن المخاوف والهواجس التي يموج بها عالم اليوم في ظل حضارة مادية قاتلة خمدت فيها روح الإيمان وأصابها الجفاف.

فما أحوج البشرية اليوم إلى الرجوع إلى هذا الدين عقيدة وشريعة وخلقًا مستمدة حقائقه من مصدريه الصافيين: كتاب الله، وسنة رسوله الكريم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، مجد الدين: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية 1997م.
- ابن تيمية: جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، ط1، 1422هـ.
- ابن تيمية: كتاب الصفدية، مكتبة ابن تيمية، د.ت.
- ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق وتعليق: مجدي فتحي السيد، القاهرة، دار الحديث.
- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ.
- ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، عالم الفوائد، ط1، 1429هـ.
- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الرياض، دار السلام، ط.1، 1416هـ.
- أبو هلالة، يوسف محيي الدين: دعوة الفطرة، الرياض، دار العاصمة، ط1، 1408هـ.
- الأشقر، د. عمر سليمان: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، دار النفائس، ط12، 1423هـ.
- الأشقر، د. عمر: الإيمان بالرسل والكتب، دار النفائس، ط1.

- الأصفهاني، الراغب: تفصيل النشأتين، تحقيق أحمد حسن كعكو، حلب، المطبعة العربية.
- آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، دار الفيحاء بدمشق، ودار السلام بالرياض، 1414هـ.
- با عبد الله، محمد با كريم محمد: وسطية أهل السنة بين الفرق، دار الراية، 1415هـ.
- با دحدح، علي عمر: الثقافة الإسلامية، دار حافظ، 1425هـ.
- البار، د. محمد علي: معاملة غير المسلمين، دار القلم، ط1، 1425هـ.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مطبعة البابي الحلبي، ط2.
- الجزائري، أبو بكر: عقيدة المؤمن، مكتبة العلوم والحكم، ط4، 1419هـ.
- حبنكة، عبد الرحمن حسن: براهين وأدلة إيمانية، دمشق، دار القلم، ط1.
- حسن، عثمان بن علي: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1412هـ.

- الحنفي، أبو العز: شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط8، 1404هـ.
- الخطابي: معالم السنن، جمع عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1.
- الخطيب؛ عبد الكريم: الإسلام في مواجهة الماديين والملحدين، دار الشروق.
- الخلف، د. سعود بن عبد العزيز: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1414هـ.
- خلق، وصيد الدين: الإسلام يتحدى، المختار الإسلامي ط6.
- الخن، د. مصطفى: العقيدة الإسلامية: أركانها – حقائقها – مفسداتها، دمشق بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1419هـ.
- دراز، د. محمد عبد الله، الدين بحوث ممهدة لتاريخ دراسة الأديان، الكويت، دار القلم، د.ت.
- الدسوقي، د. فاروق أحمد: القضاء والقدر في الإسلام، الرياض، مكتبة الخاني، ط2، 1406هـ.
- الدميجي، د. عبد الله: التوكل على الله، الرياض، دار الوطن، ط1، 1421هـ.
- الدوسري، محمود بن أحمد بن صالح: عظيم القرآن، دار ابن الجوزي، ط1، 1426هـ.

- ربيع، د. منيب محمد: ضمانات الحرية بين واقعية الإسلام وفلسفة الديمقراطية، الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1408هـ.
- الزنيدي، د. عبد الرحمن: السلفية وقضايا العصر، دار إشبيليا، ط1.
- الزنيدي، د. عبد الرحمن: مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، دار إشبيليا، ط1.
- السعدي، الشيخ عبد الرحمن: القول السديد. د.ت.
- سلامة، بسام: الإيمان بالغيب، مكتبة المنار.
- الشايع، خالد بن حمد: التشاؤم والتطير في حياة الناس، وأثر ذلك في العقيدة، دار بنلسية، ط1، 1422هـ.
- الشنيبر، د. خالد بن محمد: حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام مقارنة بالقانون الدولي، كرسي الأمير سلطان.
- الشهرستاني: الملل والنحل، تخريج محمد فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية.
- صالح، د. سعد الدين السيد: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، جدة، مكتبة الصحابة، ط2، 1416هـ.
- الصويان، أحمد بن عبد الرحمن: منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، ط1، 1419هـ.
- ضميرية، عثمان جمعة: عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، ط1، 1408هـ.

- الطرازي، أبو النصر مبشر: الإسلام الدين الفطري الأبدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ.
- طعيم، د. صابر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام، عالم الكتب، ط1، 1406هـ.
- الطنطاوي، علي: تعريف عام بدين الإسلام، الجزء الأول في العقيدة، دار الفكر، 1402هـ.
- عبيدات، محمود سالم: العقيدة الإسلامية، دار الفرقان، د.ت.
- العثيمين، محمد الصالح: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار ابن الجوزي، ط5، 1419هـ.
- العريفي، د. سعود: الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد، دار عالم الفوائد، ط1.
- عيد، أبي عمر عبد العزيز بن فتحي السيد: العقيدة الإسلامية الميسرة وآثارها في حياة المسلم، ط1، 1420هـ.
- الغنيمان، د. أحمد : علم الغيب، مكتبة العلوم والحكم، ط.1.
- القاسم، د. خالد بن عبد الله: الحرية الدينية بين المسلمين وأهل الكتاب، جامعة الملك سعود، ط1، 1430هـ.
- القحطاني، محمد بن سعيد: الولاء والبراء في الإسلام، دار طيبة، ط3، 1409هـ.

- القرطبي: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تقديم وتحقيق وتعليق د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، د.ت.
- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ.
- القرني، د. عبد الله: المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، عالم الفوائد. د.ت.
- القيم الحضارية في السنة النبوية، كلية الدراسات الإسلامية بدبي، ط1، 1428هـ.
- اللويحق، عبد الرحمن: الغلو في الدين، مؤسسة الرسالة، ط1.
- مجموعة مؤلفين: بحوث في الثقافة الإسلامية، دار الحكمة، ط1.
- مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية: مناظرة بين الإسلام والنصرانية، دار الوطن للنشر، الرياض، د. ت.
- المحمود، د. عبد الرحمن: القضاء والقدر، دار الوطن.
- المدهون، مي بنت حسن: الملائكة والجن، مكتبة أصول الدعوة، ط1، 1429هـ.
- ميرعلي: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، دار الثقافة للجميع، ط1، 1430هـ.
- النجار، د. عبد المجيد: مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2006م.

الفهرس

مقدمة 4
سبب اختيار الموضوع: 8
خطة البحث: 10
المبحث الأول 11
محاسن العقيدة في الإيمان بالله تعالى 11
1- سمة الربانية ووحدة المصدر 11
2- العقيدة الإسلامية منهج توقيفي 14
3- وضوح وبساطة العقيدة الإسلامية في بيان وحدانية الله تعالى وتقرير ربوبيته وألوهيته 15
4- العمل بإخلاص يعتبر في عقيدة الإسلام عبادة لله 19
5- دعوة العقيدة لتعظيم الله تعالى وإجلاله من خلال النظر في الآيات الكونية والتأمل في بديع صنعها 20
6- دعوة العقيدة الإسلامية لمحبة الله والشوق إليه مع الخوف منه والرهبة 22
7- دعوة العقيدة للتوكل على الله تعالى والاعتماد عليه والتعلق به25
8- الواسطة بين الإنسان وخالقه سبحانه 27
9- لا يعلم الغيب إلا الله تعالى 29
المبحث الثاني.....32

محاسن العقيدة في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر.....32
10- الملائكة الكرام ومكانتهم ووظائفهم في عقيدة الإسلام....32
11- الأنبياء والرسل في العقيدة الإسلامية 34
12- دعوة العقيدة إلى الإيمان بالكتب السماوية جميعًا.....37
13- تفصيل العقيدة لأحوال الآخرة.....39
14- القضاء والقدر في المعتقد الإسلامي 41
الصبر والثبات عند الشدائد والملمات:.....43
القوة والثبات في الحق:.....44
القضاء على الحسد: 44
التخلص من العجب والغرور: 45
15- الشيطان في ميزان الشريعة الإسلامية 45
المبحث الثالث 47
محاسن العقيدة في نظرتها للإنسان.....47
16- مكانة الإنسان في العقيدة الإسلامية 47
17- الحرية الإنسانية في الإسلام.....48
18- عدم مؤاخذة الإنسان بجرم غيره (المسؤولية الفردية).....49
19- الحفاظ على أمن المجتمع من خلال وسطية العقيدة.....50
20- الولاء والبراء وصيانة حوزة المسلمين 51
21- عدم الإكراه في الدين.....53

22- النية في الإسلام.....54
23- العلاقة بين العقيدة والأخلاق 56
24- العقيدة وموافقة الفطرة الإنسانية 57
25- موازنة العقيدة بين حاجات الإنسان الروحية والجسدية....60
26- بيان العقيدة طريق النجاة للإنسان في الدنيا والآخرة.....61
28- المقاصد الإنسانية في العقيدة الإسلامية 64
29- شفاء حيرة الإنسان بالعقيدة الصحيحة.....65
30- التحذير من تكفير المسلم وبيان آثار ذلك 67
31- محاسن العقيدة الإسلامية في رعاية أهل الذمة 68
أولًا: ضمان حرية المعتقد 68
ثانيًا: حرية ممارسة العبادة 71
ثالثًا: حسن العشرة والمعاملة الحسنة 72
رابعًا: العدل في معاملتهم ورفع الظلم عنهم.....72
المبحث الرابع.....74
محاسن العقيدة في الجانب العلمي 74
32- نصب الأدلة والبراهين على صحة العقيدة.....74
33- دور العقل في أصول الاعتقاد الإسلامي 76
34- مكانة العلم والعلماء في العقيدة الإسلامية 78
35- منع العقيدة التطير والتشاؤم واستحبابها الفأل الحسن 79
36- وسطية العقيدة الإسلامية 81

الخاتمة 83
المصادر والمراجع 85
الفهرس 91